معركة "الحسم" في درعا... حرب عصابات وكرّ وفرّ

al-monitor.com/ar/contents/articles/originals/2015/02/regime-syria-daraa-southern-front-opposition.html

-

فبراير 20, 2015

دمشق - لم يعد سرًّا أنّ النّظام السوريّ بدأ معركة كبيرة أسماها "معركة الحسم" في ريف درعا الشماليّ، (80 كلم جنوب دمشق) الأحد في 8-2-2015، بمشاركة كبيرة من "حزب الله" اللبنانيّ ومقاتلين من الحرس الثوريّ الإيرانيّ. إنّها معركة يصفها مراقبون بالأكثر أهميّة عسكريًّا وسياسيًّا، وتأتي بعد يوم من إطلاق مقاتلي المعارضة في درعا معركة "كسر المخالب" في 7-2-2015، والّتي تهدف إلى ضرب مواقع قوّات النّظام في ريف درعا الشماليّ، ردًّا على المجازر الّتي ارتبكها في ريف دمشق الشرقيّ في 23-1-2015.

وإنّ الأهداف العسكريّة للمعركة الّتي شنّها النظام وحلفاؤه كانت واضحة منذ البداية، وهي بسط السيطرة على البلدات الواقعة في المثلّث الجغرافيّ الاستراتيجيّ الّذي يربط بين ريف درعا الشماليّ وريف القنيطرة الشماليّ - الشرقيّ، وريف دمشق الجنوبيّ - الغربيّ، في محاولة لفصل هذه المدن عن بعضها ومنع عمليّات تسلّل مقاتلي المعارضة، وكذلك تأمين العاصمة دمشق في شكل نهائيّ، ثمّ فتح باب التقدّم نحو سلسلة تلال تقود إلى تلّ الحارة الاستراتيجيّ في غربيّ درعا، ومنه إلى العمق الحوراني ومدينة نوى والشيخ مسكين والقنيطرة.

وتعدّ هذه الجبهة ذات خصوصيّة عالية لعوامل عدّة، فهي الأقرب لناحية العاصمة دمشق وتخضع الفصائل فيها لعلاقة وثيقة مع الاستخبارات الأردنيّة وغرفة عمليّات الموك -أصدقاء سوريا. كما تعمل وفق مبدأ الفزعة، بسبب البنية العشائريّة والمجتمع الريفيّ الّذي تتمتّع به هذه المنطقة، في ما يبدو لافتاً أنّ المجموعات المقاتلة فيها تنتمي إلى هيكليّة الجيش الحرّ. أمّا جبهة النّصرة فيبقى حضورها محدوداً، مقارنة بانتشارها الواسع في الشمال.

وسياسيًّا، تأتي المعركة في ذروة مسار المفاوضات الأميركيّة- الإيرانيّة، خصوصاً في ما يتعلّق بالملف النوويّ الإيرانيّ ومخاض الانتخابات الاسرائيليّة وزيارة دي ميستورا لدمشق. وبالتّالي، فإنّ وصول إيران و"حزب الله" اللبنانيّ إلى الحدود الإسرائيليّة - إذا ما تحقّق - سيشكّل ورقة جديدة في يدّ إيران للضغط على الدول الغربيّة، في ما يتعلّق بملفّها النوويّ.

لقد استطاعت القوّات الحكوميّة ومن يساندها من مقاتلين أجانب بعد 48 ساعة على بدء المعركة إحكام سيطرتها على بلدة دير العدس والتلال المحيطة بها في ريف درعا الشماليّ - الغربيّ، ليحقّق النّظام نقلة نوعيّة في الانتقال من الدّفاع إلى الهجوم، وأعلنت القيادة العامّة للجيش والقوّات المسلّحة، في بيان صدر في 11-2-2015، أنّ "وحدات من الجيش والقوّات المسلّحة نفّذت عمليّة عسكريّة واسعة في المنطقة الجنوبيّة، وحقّقت إنجازات نوعيّة متتالية على اتّجاهات عدّة في أرياف دمشق والقنيطرة ودرعا، وأعادت الأمن والاستقرار إلى بلدات دير العدس والدناجي ودير ماكر، وأحكمت السيطرة على تلال مصيح ومرعي والعروس والسرجة، وقضت على أعداد كبيرة من إرهابيي جبهة النّصرة".

وتراجعت حدّة الاشتباكات بين مقاتلي المعارضة من جهة، والقوّات الحكوميّة ومن يساندها من جهة أخرى، مع قدوم العاصفة الثّلجيّة على سوريا والمنطقة الجنوبيّة، خصوصاً في 12-2-2015، وتوقّفت معها غارات الطيران الحربيّ السوريّ، نظراً لسوء الأحوال الجويّة. وفي المقابل، أعلن الجيش الموحّد المعارض في درعا النفير العام، نافياً أن يكون قد خسر مواقع مهمّة في المنطقة، مؤكّداً أنّ ما يجري معارك كرّ وفرّ، وذلك بحسب النّاطق الإعلاميّ باسم الجيش الموحّد عصام الريّس، الّذي نفى في تصريحه لإحدى القنوات المعارضة أن يكون النظام قد تقدّم شبراً واحداً في القنيطرة.

إنّ الطبيعة الجغرافيّة للمناطق الّتي سيطر عليها النّظام وحلفاؤه في مثلّث درعا – القنيطرة - ريف دمشق في معظمها سهول وتلال تتموضع خلفها مناطق خالية وجرداء، لتزداد بعدها المنطقة وعورة أكثر فأكثر، ممّا يزيد من صعوبة الدّفاع عنها.

وقال لـ"المونيتور" أحد القادة الميدانيّين لقوّات المعارضة في درعا، رافضاً الكشف عن اسمه بسبب تعليمات عامّة للمقاتلين: "لقد اعتمد حزب الله في هجومه على تكتيك عسكريّ سبق أن استخدمه في سوريا، وهو أقرب إلى حرب العصابات، الأمر الّذي كلّفه الكثير من الخسائر البشريّة. وفي المقابل، استخدم الثوّار تكتيك القتال التراجعيّ، وهو ما سمح بعدم وقوع إصابات كبيرة في صفوفهم".

وبحسب المصدر، فإنّ الضربة الأولى المفاجئة الّتي قام بها "حزب الله"، لم تخسر المعارضة فيها أكثر من عشرة مقاتلين. ومن بعدها، لم تتكبّد قوّات المعارضة أيّ خسائر تذكر، على عكس قوّات النّظام و"حزب الله" اللبنانيّ والحرس الثوريّ الإيرانيّ، الّتي تكبّدت خسائر بشريّة وماديّة، خصوصاً أنّ مقاتلي المعارضة استخدموا الأسلحة المضادّة للدروع بفعاليّة.

وفيما يواصل كلا الطرفين حشد مزيد من القوّات لتعزيز مواقعه في ريف درعا الشماليّ، تعهّدت قيادة الجبهة الجنوبيّة المعارضة، شنّ "حرب عصابات"، لمواجهة هجوم القوّات النظاميّة المدعومة من إيران و"حزب الله"، مشيرة إلى "تمكّنها حتّى الآن من استعادة أربع تلال وثلاث بلدات"، كانت قوّات النّظام وحلفاؤها قد سيطروا عليها منذ بدء الهجوم في ريف درعا الشماليّ، الأحد في 8-2-2014. وأشار القائد الميدانيّ البارز في الجبهة، أبو أسامة الجولاني في تصريحات صحافيّة في 16-2-2015، إلى أنّ "المعركة قد تطول، وسيكون هناك كرّ وفرّ".

وتعليقاً على هذه المعركة، قال المحلّل السياسيّ المعارض مازن الجاسم في لقاء مع "المونيتور": "إنّ الجبهة الجنوبيّة قدّمت نماذج مختلفة عمّا يريد النّظام السوريّ إشاعته عن الثورة السوريّة. وبالتّالي، فإنّ الهدف الأوّل لهذه المعركة، القضاء على آخر معاقل الثورة السوريّة. توجد في الجبهة الجنوبيّة مجموعات عسكريّة لا تزال تملك بعداً وطنيًّا، وترفع شعار إسقاط النّظام كأولويّة، والقضاء عليها يساهم في حصر خيارات الشعب السوريّ بالتّنظيمات الإسلاميّة المتشدّدة، بحيث تصبح المعركة حرباً ضدّ الإرهاب، كما يريد النظام وداعموه".

إنّ معركة "الحسم" الّتي أطلقها الجيش السوريّ وحلفاؤه لم تحسم شيئاً حتّى اللحظة، وفي الوقت الذي يستمرّ فيه القصف المدفعيّ للنّظام على قرى وبلدات ريف درعا والقنيطرة، حيث يتحصّن مقاتلو المعارضة، الّذين أعلنوا اليوم في 18-2-2015 بدء معركة سمّيت بـ"توحيد الراية" في الجبهة الجنوبيّة بمشاركة ثماني غرف عمليّات، وهي تهدف الى تحرير ومنع تقدّم قوّات النظام في منطقة مثلّث (ريف دمشق - درعا – القنيطرة)، وذلك بحسب غرفة الإعلام العسكريّ التّابعة للجيش الموحّد في درعا.